الصلاة

واجه يسوع ضعفه البشري بالتمسك بالصلاة إلى الآب. كانت حياة يسوع في علاقة حميمة مع الآب. ففي كل مرّة كان يبتعد فيها بمفرده ليصلي، سواء على الجبل أو في البرية، لم يكن يخبر الرسل بعد عودته بشيء مما دار بينه وبين الآب.

وكذلك في الجسمانية، انسحب يسوع ليصلي، في المكان الذي اعتاد الذهاب إليه كثيرًا لأنه كان مكانا هادئاً ومعزولًا. وكانت صلاته هناك من أشدّ الصلوات التي رفعها على الإطلاق؛ إنها صلاة المحكوم عليه بالموت، المتضرّع لكي لا يموت.

هل كان يسوع يعلم ما الذي كان سيحدث له؟ تروي الأناجيل الإزائية أنه بعد أن اعتراف بطرس به على أنه "المسيح ابن الله" (مرقس 8: 29)، بدأ يسوع يتنبأ قائلاً: "إن ابن الإنسان يجب أن يتألم كثيرًا، ويرذله الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم" (مرقس 8: 31). وكثيرا ما ساعد يسوع تلاميذه على فهم هذه الكتابات وكلام الأنبياء، التي كانت تتنبأ بمجيء المسيح، على أن تتحقّق فيه من خلال نهاية لا مجد فيها.

وبعد العشاء الإفخارستي في العلية، وقبل أن ينطلق إلى الجسمانية، يشير لوقا إلى أن يسوع تحدّث عن آلامه كجزء من مخطط الخلاص الذي تنبأ به إشعيا: " فإِنِّي أَقولُ لكم: يَجِبُ أَن تَتِمَّ فيَّ هٰذِه الآية: وأُحصِيَ مع المُجرِمين. فإِنَّ أَمْري يَنتَهي". لوقا 22: 37 . أما بحسب متى ومرقس، ففي طريقه من العلية إلى جبل الزيتون، أخبر يسوع تلاميذه كيف ستكون ردة فعلهم عند اعتقاله، مستشهدًا بزكريا النبي: "سأَكونُ لكم جميعًا حَجَرَ عَثْرَة في هٰذه اللَّيلَة، فقد كُتِب: "سَأَضرِبُ الرَّاعي فتَتَبَدَّدُ خِرافُ القَطيع". ولٰكِن بعدَ قِيامتي أَتَقَدَّمُكم إِلى الجَليل". (متى 26: 31–32؛ مرقس 14 :27–28).

كان يسوع يعلم ما كان على وشك الحدوث، وكانت صلاته في الجسمانية تهدف إلى سدّ الفجوة بين شعوره بالرفض تجاه الألم الشديد الذي سيؤدي إلى موته، من جهة، ورغبته في الطاعة الكاملة لإرادة الآب، من جهة أخرى. ومن هنا تأتي جوهرية صلاته إلى الآب، الذي دعاه بكلمة "أبّا"، وهي علامة تسليم كامل لإرادته، حتى وإن بدت هذه الإرادة غامضة وصعبة القبول. بل إن يسوع نفسه، في مناسبات عديدة، شدد على ضرورة طاعة مشيئة الله، قائلاً: "إن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات، هو أخي وأختي وأمي". (متى 12: 50).

سقط يسوع على وجهه إلى الأرض: وهي وضعية صلاة تعبّر عن الطاعة لإرادة الآب والتسليم الكامل له بثقة تامة. وفي هذا المصير الغريب والمتناقض للمسيح، الذي جاء ليخلّص البشرية لكنه مُلزَم بأن يتألم حتى الموت، رأى سرّ التجديد الجذري لحالة الإنسان والعالم.

وهذه الليلة من النزاع في الجسمانية، هي أيضًا جزء من مخطط محبة الله للبشر، وصلاة يسوع في تلك الليلة هي نفسها التي يمكن لكل إنسان أن يتمسّك بها في لحظات الظلمة.

كما قال البابا بندكتس السادس عشر، مقتبسًا من ملخّص التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: "يُتمّم يسوع مخطط الآب المحبّ، ويأخذ على عاتقه كل ضيق البشرية، وكل التضرعات والصلوات في تاريخ الخلاص، ويقدّمها للآب الذي يتقبّلها ويستجيب لها بما يفوق كل رجاء، إذ يُقيم ابنه من بين الأموات" (المقابلة العامة، 1 شباط 2012).